الخطبة الحادية عشرة

دعاوي
سيدنا أحمد عليه السلام
وشهادات السلف الصالح

أُلقيت بتاريخ ٥ أبريل/نيسان ١٩٨٥م

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * اَلْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ (آمين)

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ * قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ (فُصِّلَتْ: ٦-٧)

أَرُدّ في السلسة الحالية من الخطب على اعتراضات وجهتها حكومة باكستان الحالية إلى الأحمدية في "البيان الأبيض" المزعوم. فقد اخترت بعض الاعتراضات الأخرى للرد عليها في خطبتي اليوم. تقول الحكومة معترضةً على الأحمدية:

"من التصريحات الغريبة للميرزا قوله: إن كيانه الروحي أعلى بكثير من كيان الأنبياء السابقين. ونقتبس بعض النصوص من كتابات الميرزا مثالا على مثل هذه التصريحات، منها قوله: "إن الله بعث من هذه الأمة مسيحا موعودًا هو أعلى مرتبة وشأنا من المسيح السابق. والذي نفسي بيده لو كان المسيح بن مريم في زمني لما استطاع إنجاز ما أستطيع إنجازه، ولما قدر على إظهار آيات تظهر مني." (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية ج٢٢ ص١٥٢)

ثم يشيرون إلى مقتبس آخر من تتمة حقيقة الوحي ص٨٤-٨٥ ويجعلونه عرضة للاعتراض، فقد جاء في المقتبس:

"لم يسبق في الدنيا نبي إلا وقد أُعطيتُ اسمه. فقد قال الله عز وجل في الإلهامات المدونة في "البراهين الأحمدية": أنا آدم، أنا نوح، أنا إبراهيم، أنا إسحاق، أنا يعقوب، أنا إسماعيل، أنا موسى، أنا داود، أنا عيسى بن مريم، أنا محمد رسول الله، أعني بصورة ظلية. فكما أن الله تعالى سماني في هذا الكتاب بالأسماء المذكورة كلها وقال عني: "جَرِيُّ الله في حلل الأنبياء"، فلا بد أن يوجد في نفسي شأن كل نبي."

كذلك فقد أثير اعتراضٌ آخر أيضا وهو أن سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام اعتبر وَحْيه مماثلا لوَحْيِ الأنبياء الآخرين. والحقيقة أن كلا الاعتراضين من نوع واحد.

لا فرق بين الأنبياء من حيث نزول الوحي

وليعلموا أننا نجد في القرآن الكريم نوعين من الآيات في صدد الأنبياء. يقول الله عز وجل في موضع: ﴿كلٌّ آمَنَ بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرِّق بين أحد من رسله﴾. وقد نُسب هذا الإعلان إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأتباعه. ثم يقول الله تعالى في موضع آخر: ﴿تلك الرسل فضَّلْنا بعضَهم على بعض﴾. وإذا كان الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام يندرج في قائمة الأنبياء ففي الآيتين المذكورتين ردٌّ كاف على كلا الاعتراضين، إذ لا فرق بين الرسل من حيث مصدر الوحي، إذ إن الوحي المقدس النازل على كل نبي إنما ينزل من عند الله عز وجل فلا فرق في وحي الله من ناحية عظمته وقوته وصحته سواء أكان ما نزل على رسله قبل النبي صلى الله عليه وسلم، أو الذي سوف ينزل على الرسل في المستقبل. أما فيما يتعلق بالمراتب فالأمر في يد الله يهب لمن يشاء مرتبة عليا ويهب لمن يشاء دونها. فقد فضّل الله بعضَ الأنبياء على بعضهم الآخرين. فلم يبق الآن إلا أن نرى فيما إذا كان

الإعلان الذي قام به سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام بأنه أُعطي أفضلية على بعض الأنبياء السابقين يليق به أم لا؟

نزول الوحي على الأولياء

إن سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام قد أعلن المهدوية والمسيحية، والمعلوم أن السلف الصالح من الأمة وأولياء الله والمجددين قد صرحوا عن المهدي والمسيح الموعود بكلمات واضحة أن مكانته لن تكون مثل شخص عادي من الأمة، حتى كتب بعضهم بوضوح تام أن مكانته تكون أرفع من بعض الأنبياء السابقين أيضا. ولو غضضنا الطرف عن المهدي المنتظر والمسيح الموعود أيضا، لوجدنا في الأمة الصلحاءَ الذين لم يعلنوا المهدوية أو المسيحية، ولكنهم رغم ذلك أدلوا عن أنفسهم بتصريحات مماثلة للتي قام بها سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام عن درجته بل أكبر منها أيضا. أما فيما يتعلق بالوحي المذكور في تصريحاته عليه السلام فنجد ذكرًا مماثلا له في تاريخ الأمة المحمدية. وفيما يتعلق بأفضليته عليه السلام على الناس عامة فنجد كثيرا من التصريحات من هذا القبيل التي قام بها الصلحاء في الأمة في أكثر من موضع. سأسوق لكم مثالين حول موضوع الوحي.

لنأخذ الإمام محي الدين ابن عربي مثلا، فإنه لم يدَّعِ تلقي الوحي فحسب بل أعلن معراجَه أيضا، وقال: "... وخلع علي خلعة ما رأيت مثلها فقلت: إلهي الآيات شتات، فأنزل علي عند هذا القول: ﴿قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيُّون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾ (آل عمران:٨٥)، فأعطاني في هذه الآية كلَّ

الآيات وقرَّب عليَّ الأمرَ وجعلها لي مفتاحَ كل علم، فعلمتُ أني مجموع من ذكر لي."

(الفتوحات المكية ج٣،باب في معرفة منزل التوكل الخامس الذي ما كشفه أحد من المحققين)

كذلك ذكر الخواجة مير درد الدهلوي في كتابه (علم الكتاب) تحت عنوان: "التحديث بالنعمة" بأن إلهاماته شأنها شأن إلهامات الأنبياء السابقين لأنه تلقى الإلهامات بكلمات آيات قرآنية، فمن إلهاماته: "ولا تتبع أهواءهم واستَقِمْ كما أُمرتَ."

ثم يقول بأنه أوحيَ إليه أيضا:

"أَفَحُكْم الجاهلية يبغون في زمان يُحكم الله بآياته ما يشاء."

وأُوحي إليه أيضا:

"إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم." (علم الكتاب للخواجه مير درد)

الأفضلية على المسيح الناصري عليه السلام

أما فيما يتعلق بأفضلية مؤسس الأحمدية على المسيح الناصري عليهما السلام فقد ذكر حضرته الحكمة أيضا من ورائها. وليس لشخص واعٍ يؤمن بالإسلام وبأفضلية سيدنا ومولانا محمد ﷺ أن يعترض عليها دون أن يضيع إيمانه. البرهان الذي أقامه سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام هو كالآتي.

"تذكَّروا أنني كُلِّفتُ بخدمة إصلاح الدنيا كلها لأن سيدنا ومطاعنا ﷺ كان قد جاء إلى الناس كافة. فبسبب هذه الخدمة العظيمة قد أُعطيتُ قوى وقدرات كانت ضرورية لِحَمْل هذا الحِمل. نحن وَرَثة القرآن الكريم الذي تعليمه جامع للكمالات كلها وموجَّهٌ إلى العالم كله. أما عيسى

عليه السلام فكان وارثا للتوراة التي كان تعليمها غير كامل وخاصا بقوم معين، لذا اضطر أن يبيِّن في الإنجيل أمورا كانت غامضة في التوراة. ولكننا لا نستطيع أن نضيف شيئا إلى القرآن لأن تعليمه أتم وأكمل ولا يحتاج، مثل التوراة، إلى أي إنجيل." (حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية، ج٢٢ ص١٥٥)

إعلانات السلف الصالح للأفضلية على الأنبياء

أما فيما يتعلق بإعلانات السلف الصالح بهذا الخصوص، فقد قال سيدنا علي رضي الله عنه:

"أنا نقطةُ باء بسمِ الله، أنا جَنْبُ الله الذي فرَّطتم فيه، وأنا القلم، وأنا اللوح المحفوظ، وأنا العرش، وأنا الكرسي، وأنا السماوات السبع والأرضون." (شرح فصوص الحكم، لمحمد داود قصري رومي، ص١١٨)

يقول الإمام جعفر - وهو الإمام السادس للشيعة ومن الصلحاء العظام في الأمة، وكان أستاذا أيضا للإمام أبي حنيفة رحمه الله - بأن المهدي المقبل سوف يصرِّح:

"يا معشرَ الخلائق، ألا ومن أراد أن ينظر إلى آدم وشيث فها أنا آدم وشيث، ألا ومَن أراد أن ينظر إلى إبراهيم وإسماعيل فها أنا ذا إبراهيم وإسماعيل. ومن أراد أن ينظر إلى موسى ويوشع فها أنا ذا موسى ويوشع. ألا ومن أراد أن ينظر إلى عيسى وشمعون فها أنا ذا عيسى وشمعون. ألا ومن أراد أن ينظر إلى محمد وأمير المؤمنين صلوات الله عليه فها أنا ذا محمد صلى الله عليه وسلم وأمير المؤمنين. ألا ومن أراد أن ينظر إلى الحسن والحسين فها أنا ذا الحسن والحسين. ومن أراد أن ينظر إلى الأئمة من وُلْد الحسين فها أنا ذا الأئمة." (بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار للشيخ محمد باقر المجلسي، المجلد ١٣، الجزء ٥٣ ص٩)

أقوال الأئمة وتصريحات سيدنا أحمد عليه السلام

لم تقدم حكومة باكستان شيئا جديدا ضد الأحمدية بل أيّدتْها على غير قصد منها بتقديمها المقتبسين المذكورين لسيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام، فإذا كانت المكانة التي ذكرها سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام في هذين المقتبسين لا تليق بالمهدي المنتظر لبطلت أنباء السلف الصالح كلها. لقد ذكر صلحاء الأمة مسبقا أنه لابد للإمام المهدي من القيام بهذه التصريحات، ولو كان حضرته قد أعلن الإمامة والمهدوية وامتنع عن هذه التصريحات لعُدَّ من الكاذبين، وكذلك ثبت كذب أولئك الأئمة أيضا الذين قاموا بهذه النبوءات. فلا بد لكم أيها المعترضون من الاعتراف بصدق أحمد عليه السلام حسب قول الإمام جعفر رحمه الله الآنف الذكر. وإن كنتم تعتبرون سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام كاذبا بناء على تصريحاته فلا بد أن تكذبوا الإمام جعفر رحمه الله وترفضوا كونه صالحا أيضا.

ولكن سلسلة التصريحات هذه لا تنتهي عند الإمام جعفر بل إن الإمام الخميني أيضا الذي يعتبره الشيعة حائزًا على مكانة نائب الإمام، يقول عن أئمة الشيعة ناهيك عن المهدي المنتظر:

"من لوازم ديننا أنه لا يصل إلى مكانة الأئمة مَلَكٌ مقرب ولا نبي ومرسل." (ولاية الفقيه أو الحكومة الإسلامية ص٥٨ نقلا عن كتاب: السيد الخميني في مرآة كتاباته، لعبد الله محمد العريب)

كذلك من المعلوم أن الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله لم يدَّعِ المسيحية ولا المهدوية، ولكن المكانة السامية التي وهبها الله عز وجل لصلحاء الأمة هي عظيمة لدرجة لا يتصورها المشايخ المتمسكون بظواهر النصوص والمتجردون من المعرفة الحقيقية. فيورد الشيخ نور الدين أبو الحسن علي

بن يوسف بن جرير اللخمي في تأليفه بهجة الأسرار، قولَ الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله:

"الإنس لهم مشايخ، والجن لهم مشايخ، والملائكة لهم مشايخ، وأنا شيخ الكل.... لا تقيسوني بأحد ولا تقيسوا عليّ أحدا." (بهجة الأسرار ومعدن الأنوار لنور الدين اللخمي، وفي الهوامش فتوح الغيب لعبد القادر الجيلاني ص٢٣)

ويورد السيد نواب صديق حسن خان في كتابه "حجج الكرامة" ص٣٨٦، القول التالي للإمام ابن سيرين رحمه الله: "قال ابن أبي شيبة في باب المهدي عن محمد بن سيرين قال: يكون في هذه الأمة خليفةٌ خير من أبي بكر وعمر. قيل خير منهما؟ قال: قد كاد يفضل على بعض الأنبياء. وفي لفظ: لا يفضل عليه أبو بكر وعمر. سيوطي كفته (أي قال السيوطي) هذا إسناد صحيح."

الظل الكامل للرسول ﷺ

هذا، وقد ذُكر اسمُ ولي الله الدهلوي بكل تقدير واحترام في الكتيب الحكومي المنشور ضد الأحمدية في باكستان، واعتُبر فيه حضرته كحجة وفلسفي كبير يدرك مصالح الأمة جيدا. يقول ولي الله الدهلوي نفسه عن الإمام المهدي والمسيح الموعود:

"حُقّ له أن ينعكس فيه أنوارُ سيد المرسلين ﷺ. يزعم العامة أنه إذا نزل في الأرض كان واحدا من الأمة. كلا! بل هو شرح للاسم الجامع المحمدي ونسخة منتسخة منه. وشتان بينه وبين أحد من الأمة." (الخير الكثير الملقب بـ "خزائن الحكمة" لشاه ولي الله الدهلوي ص٧٨)

منـزلة المهدي الموعود

يقول الإمام عبد الرزاق القاشاني:

"المهدي الذي يجيء في آخر الزمان فإنه يكون في أحكام الشريعة تابعا لمحمد ﷺ، وفي المعارف والعلوم والحقيقة تكون جميعُ الأنبياء والأولياء تابعين لـه كلهم. ولا يناقض ما ذكرناه لأن باطنه باطن محمد (ﷺ) عليه السلام." (شرح فصوص الحكم للشيخ عبد الرزاق القاشاني، ص٥٧)

حقيقة الظلية

يقول الشاه ولي الله الدهلوي رحمه الله عن حقيقة الظلِّية بأنها تكون:

"...تارة أخرى بأن تشتبك بحقيقة رجل من آله أو المتوسلين إليه كما وقع لنبينا ﷺ بالنسبة إلى ظهور المهدي." (التفهيمات الإلهية ج٢ ص١٩٨)

الطريق السهل للحُكم

إذن فهذه أقوال صلحاء الأمة المتفق على كونهم أصحاب الكشوف والإلهامات والذين كانوا أقطاب زمنهم. منهم من كان مجددًا لعصره ونال في الأمة منـزلة سامية لدرجة لا يصلح مشايخ الظاهر في العصر الحاضر حتى لتسوية أحذيتهم. فهناك أمامكم (يا مَن تعارضوننا) سبيلان اثنان للحكم: إما أن تصدروا فتاوى الكفر ضد هؤلاء الأطهار أيضا كما تصدرونها ضد سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام وجماعته، أو إن كنتم ترون أن صلحاء الأمة هؤلاء أدركوا ببصيرتهم الروحانية منـزلة الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام، إدراكا صحيحا، وبيَّنوها بيانا سليما فبالله عليكم - إن كنتم تملكون قليلا من العدل والتقوى - أن تسحبوا اعتراضاتكم ضد سيدنا الإمام المهدي عليه السلام أيضا، التي لا أساس لها من الصحة، واقبلوا كل تصريحاته من صميم قلوبكم. ولكنه يبدو مستحيلا لأنكم تبيحون قتل أتباع الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام بسبب تصريحاته هذه. لقد أصدرتم الفتاوى بأنه يجب أن تُنهب بيوت الأحمديين

وتُحرق أموالهم وما ادخروه، ويُقتل أولادهم وأزواجهم أمام أعينهم. إن كنتم تبيحون كل ذلك بسبب تصريحات سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود ﷺ فعاملوا الأئمة السلف الصالح وأتباعهم أيضا المعاملة نفسها. ولكنني أعرف جيدا أنكم لن تجرؤوا على ذلك لأنكم متجردون عن التقوى، ولا تملكون إلا ألسنة كالأسنة.

كان السلف الصالح الذين ذُكرتْ أسماؤهم يعتقدون عن الإمام المهدي بأنه سوف يكون حائزا على منزلة سبق ذكرها آنفا، فكان واجبا على المهدي المنتظر أن يقوم بكل هذه التصريحات التي تدل على صدقه لا على كذبه. ولو لم يقم حضرته بتلك الإعلانات لنهضتم أنتم وطعنتم فيه وقلتم إنك كاذب لعدم تصريحك بكذا وكذا لأن الأئمة القدامى قد تنبأوا بذلك مسبقا.

اعتراض على التصريحات التدريجية

وجاء ضمن قائمة الاعتراضات:

"كما ذكرنا سابقا أن الميرزا لم يُظهر في البداية رغبة حقيقية في إعلان النبوة. لقد بدأ مشواره من التشوش الذهني عن ختم النبوة، ثم ظلَّ يتقدم إلى جهته المنشودة بسرعة حتى ادّعى النبوة وسط تذبذب شديد وتصريحات متضاربة."

والاعتراض الآخر هو:

"كان الميرزا منذ أيام شبابه مصابا بالصرع وأوجاع الأعصاب. وكان يُغمى عليه أحيانا بسبب نوبات الهستيريا، وكان مصابا بداء السكر أيضا. والغريب أنه اعتبر المرضين: الهستيريا والسكري، برهانا على صدقه وقال: إن النبي ﷺ كان قد تنبأ بمرض يصيبني. فقد قال الرسول ﷺ:"ينزل

المسيح بين مهرودتين". نقلا عن المجلة: تشحيذ الأذهان، حزيران عام ١٩٠٦م، ص٥." (الكتيب المذكور)

لابد أن تكون صفارة الإنذار قد رنت في آذان الذين لديهم أدنى إلمام بتاريخ الأديان، ولا سيما في آذان أولئك الذين هم مطلعون على كتب المستشرقين، ولابد أن يقولوا عفويا: لقد سمعنا بهذه الأمور من قبل أيضا لأنه قد ظلت الهجماتُ البذيئة نفسها وبالكلمات نفسها تُشَنُّ منذ القِدم.

ولكن ما هي تلك الهجمات ومن شنها، وعلى مَن؟ وممن تعلَّم هؤلاء المهاجمون أساليبها؟ سأقدم إليكم بهذا الخصوص مقتبسا من جريدة "أهل الحديث" ٢٤ آذار/مارس ١٩١١م، ص٢ عمود٢ من شأنه أن يدلكم على المجرم الحقيقي. يعود تاريخ هذا الكلام إلى زمن سيدنا الخليفة الأول رضي الله عنه للإمام المهدي عليه السلام إذ وجَّه المولوي ثناء الله الأمرتساري تحديا إلى حضرته رضي الله عنه قائلا:

"هل يحق لنا أم لا أن نثير حول دعوة نبيِّكم الميرزا أسئلةً تنافي نبوته كما يعترض المسيحيون والآريا الهندوس وغيرهم على نبوة النبي ﷺ؟"

ربما أدركتم ممن تعلَّم هؤلاء المشايخ هذه الأساليب؟ وطُرُقَ مَن يتبعون في المعارضة؟ لا شك في أنهم تعلَّموا من المسيحيين والآريا أساليبَ هجمات خبيثة كانوا يوجهونها إلى سيدنا ومولانا محمد ﷺ والإسلام. والآن بعد هذا التحديد يسهل علينا فهم نوعية الهجمات.

هراء الكُتّاب المسيحيين

الكاتب المسيحي الشهير وليم ميور يوجِّه في كتابه نفس الاعتراض إلى النبي ﷺ على التصريحات التدريجية قائلا:

"يمكننا أن نقدّر أن محمدا بعد مروره بفترة التذبذب والريبة بدأ يقول إنها رسالة من الله. وقال في غضون ذلك إن هذا كلــه في ســبيل الله، ثم سيطر هذا الموقف على سائر حياته واندمج في حركاته. كان خادمــا في البداية، فأصبح رسولا ثم نائبا لله. وما زالت حلقات دعوته تتوسع علــى الدوام وظلت مبنية على المبادئ نفسها..." (Life of Mohammad ص٤٨)

الآن استبدِلوا اسمَ وليم ميور باسم مؤلف "البيان الأبيض" الحكــومي المزعوم، فلن تلاحظوا أي فرق بين أفكارهما.

يقول وليم ميور:

"...الواقع أن عدم وجود حاكم مقتدر، بل وجود حكومة منقســمة على نفسها هيأت لمحمد فرصة لاتخاذ هذا القرار (أي النبــوة)." (المرجــع السابق ص٣٢)

ثم يثير اعتراضا آخر ويقول :

"بعد بضعة أشهر من قدومه إلى المدينة وجد محمدٌ اليهودَ يصــومون، فما لبث أن اختار الصيام لأصحابه... لم يكن الصوم ضــمن الأحكــام الإسلامية من قبل وإنما تم تنفيذه حين أراد محمد إبقاء دينه جنبا إلى جنب أعياد اليهود."

والآن نأخذ اعتراضا آخر يتعلق بإصابته عليه السلام بالأمراض، والسؤال هو: إلى مَن وُجِّهتْ في الأزمنة الغابرة الاعتراضاتُ الخبيثة المتعلقة بالإصــابة بمرض السوداء والهستيريا والصرع؟ لا شك في أنها قد وُجِّهت إلى مَن هو غاية منشودة من خلق الكون، والذي من أجلــه خُلِقــت الســماوات والأرض!! لقد جُعِل عرضة هذه الاعتراضات السخيفة سيدُ بني البشــر وأفضل الرسل ﷺ، الذي لمعتْ حكمتُه وذكاؤه وفطنته لدرجة قــال الله

ﷻ: ﴿يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار﴾. أي أن نوره ﷺ كان جاهزا للإضاءة وإن لم تنزل عليه شعلة وحي السماء.

عن هذا النور المتجسد يقول وليم ميور:

"كان الرسول مشوشًا للغاية (والعياذ بالله - الناقل) وكان مريضا عصبيا ويرهب الظلام..." (لائف آف محمد ص٢٠٨)

أقول: لعنة الله على الكاذبين. ولا أتحمل قراءة الكلام السخيف لهذا الشقي. أما إذا كان أحد يرغب في قراءة هراء المستشرقين عن أمراض النبي ﷺ المزعومة، وكان قادرا على سماع الاعتراضات الأخرى فليرجع إلى كتاب "ميزان الحق" ص٣٢٢-٣٢٧ طبعة عام ١٨٦١م، للقسيس سي جي فيندر. إن هذا الوقح يثير اعتراضات سخيفة متلذذا بها، مستندا - في زعمه - إلى بعض الأحاديث ويقول متكررا وبكلمات لاذعة: لستُ أنا الذي أقول ذلك بل هذا ما قاله أسلافكم ومحدثوكم ودوَّنه فقهاؤكم الكبار ومؤرخوكم العظام. فيورد قصة بعد قصة افتراضية لا تمت إلى الحقيقة بأية صلة، ثم يستمد منها نتائج خاطئة ثم يقوم بمحاولة فاشلة لإثبات هرائه.

لا أقدر على قراءة عبارة اختلقها هذا اللئيم ونسجها من عنده، فليقرأ معارضونا - الذين تعلموا أساليب الاعتراض من أمثال هؤلاء الناس - تلك العبارات بأنفسهم إن كانوا على ذلك قادرين.

أساطير عن أمراض الأنبياء

الطريف في الأمر أن المعترضين ذكروا بكل تهكُّم وغطرسة مرضَين أصيب بهما سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود ؑ وقالوا مستهزئين: نبيٌّ ومصاب بالأمراض!! في حين أن هناك أنبياء آخرين يؤمن معارضونا

بكونهم أنبياء الله الصادقين ثم ينسجون، عن إصابتهم بالأمراض المفترضة، قصصا خيالية لا أساس لها من الصحة أبدا. أقدم إليكم بعضا من بهتانات رمى بها العلماء المسلمون أنبياءَ الله بناءً على روايات إسرائيلية وجدتْ طريقها إلى كتب المسلمين.

اسمعوا تصورهم عن سيدنا إدريس عليه السلام، يقولون:

"وكانت إحدى عينيه أعظم من الأخرى." (الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي وبالهامش إعجاز القرآن للباقلاني ج٢ ص١٣٨)

ويقولون عن شعيب عليه السلام:

"وعَميَ في آخر عمره." (المرجع السابق ص١٣٩)

إلى هنا ليست في القصة غصةٌ بل يبدو الأمر هيِّنًا ليِّنًا بعض الشيء. والآن اسمعوا ما ورد في حاشية تفسير الجلالين عن مرض سيدنا أيوب عليه السلام، ولكن قبل أن أقدم هذا المقتبس أرى من الأنسب أن أوضح أن الله سبحانه وتعالى يقول إننا نحن ننفخ في الأنبياء ونهب لهم حياة روحية جديدة. أي نحن ننفخ فيهم روحنا ونحن نلبسهم خلعة النبوة. غير أن الفكرة التي يقدمها المفسرون عن أيوب عليه السلام فهي كالتالي:

"فنفخ (إبليس) في منخريه اشتعل منها جسده، فخرج منها ثآليل مثل أليات الغنم، ووقعت فيه حكة، فحك بأظفاره حتى سقطت كلها. ثم حكها بالمسوح الخشنة حتى قطعها. ثم حكها بالفخار والحجارة الخشنة فلم يزل كذلك حتى تقطع جسده وانتنى. فأخرجه أهل القرية، وجعلوه على كناسة، وجعلوا له عريشا، وهجره الناس كلهم إلا زوجته، رحمة بنت إفرائيم." (حاشية الصاوي على الجلالين للعلامة أحمد الصاوي ج٣ ص٧٢)

لم يتورع أصحابُ هذه الأفكار عن توجيه الهجمات القذرة إلى أنبياء الله الأطهار، فلا غرابة إذا وجَّهوا الهجمات نفسها إلى الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام.

الحقيقة أن الأحمدية تجد حتى في الظروف الراهنة المحيطة بها سببًا للاطمئنان والشكر لله عز وجل وحمده، وهو أن الدنيا كلها كانت قبل بعثة الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام تشن هجمات خبيثة على سيدنا ومولانا محمد ﷺ، ففي غضون ذلك نهض من قاديان جري الله الذي كان نشوانًا في حب حبيبه ﷺ وردَّ تلك الهجمات كلها بقوة وحماس شديدين. وبالإضافة إلى ذلك قام حضرته بهجوم مضاد على الأعداء مما وضع حدا لتصرفاتهم الشائنة. ومن ثَمَّ فالسهام التي كانت موجَّهة إلى سيده وسيدنا وحبيبه وحبيبنا محمد ﷺ قد تلقاها الإمامُ المهدي عليه السلام على صدره. فما كان للأعداء منذ ذلك الحين إلا أن يكفوا عن الاعتراضات على نبينا الأكرم ﷺ موجِّهين ما كان في جعبتهم إلى خادمه المخلص المسيحِ الموعود عليه السلام.

هذه هي عظمة التضحية التي قامت بها الأحمدية، وهذه هي عظمة صدق تصريحات سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام. ففي الهجمات الموجهة إلى الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام أيضا نرى أوجها كثيرة لنزول الرحمة والبركة عليه. وأحلف بالله العظيم أن الهجمات الخبيثة التي وُجِّهت إلى النبي ﷺ، والسهام التي صُوِّبت إليه، والتهم القذرة التي أُلصقت بشخصه الطاهر أثناء القرون المظلمة الطويلة، قد حوّلها الله عز وجل كلها إلى أزهار المحامد والرحمة والبركات والصلوات عليه ﷺ. وبقدر ما كال الأعداءُ الشتائمَ لأفضل الأنبياء وسيد البشر، بقدر ما نزلت عليه بركات وأفضال من الله سبحانه وتعالى بل أكثر من ذلك بملايين

المرات. فطوبى لكم يا من تعتبرون أنفسكم خداما مخلصين ومطيعين صادقين لهذا المجاهد العظيم الذي تصدى بنفسه ونفيسه لكل هجمة وُجِّهت إلى سيدنا وسيده محمد ﷺ ولم يبال قط بما عسى أن يحل به من مصائب في هذا السبيل.

حديث يضم رسالة المعرفة

أما فيما يتعلق بنزول المسيح بين مهرودتين فيجب أن نتذكر بهذا الشأن أن قوله ﷺ: إن المسيح سينزل بين مهرودتين، يحتاج إلى التأويل. لقد حُسم الموقف فيه مسبقا وهو إما أن نؤول هذا الكشف أو النبأ أو أن نحمله على الظاهر. لو حملناه على الظاهر فماذا عسى أن تكون كيفية النبي المقبل أعني المسيح؟ ولو لم نحمله على الظاهر وحاولنا البحث عن رسالة المعرفة الكامنة فيه لوجدناها. فقد قال صلحاء الأمة بهذا الخصوص:

"والصفرة من الثياب كلها مرض وضعف لصاحب الثوب الذي يُنسَب ذلك الثوب إليه." (تعطير الأنام لعبد الغني النابلسي ج١ ص١٠٣ الباب التاسع والعشرون في الكساوي واختلاف ألوانها وأجناسها)

إذن فيما يتعلق برسالة المعرفة التي يضمها هذا الكلام فلا يمكن فهمها إلا عن طريق التأويل والاستنتاج وهي أن المراد من الثوب الأصفر هو المرض. ولكن لو أصر أحد على حمله على الظاهر فقط وأصر على رؤية المسيح المقبل ملتفًّا بثياب صفراء ككهَّان الهندوس فليستمع إلى فتوى النبي ﷺ بهذا الشأن حيث يروي عبد الله بن عمرو بن العاص ؓ قَال: رَأَى رَسُولُ الله ﷺ عَلَيَّ ثَوْبَيْنِ مُعَصْفَرَيْنِ فَقَال: "إنَّ هَذه منْ ثيَاب الْكُفَّار فَلا تَلْبسْهَا." (مسلم، كتاب اللباس والزينة)

فنقول جهارا: لن نقبل مسيحا ملتفا بثياب الكفار وإنما سوف نقبل مسيحا من أمة محمد ﷺ. وقد أُمر أبناء الأمة مسبقا ألا يلبسوا ثيابا صفراء أبدا لأنها لباس الكفار. فإن كنتم تريدون مسيحا من أمة محمد ﷺ فلا بد لكم من أن تصححوا أفكاركم عن كيفية مجيئه وتُنـزِّهوها من الأخطاء، ويجب أن تعترفوا وتؤمنوا بأن هذا النبأ - كما يؤكد عليه علم تعبير الرؤى - يحتوي على رسالة حكيمة تحتاج إلى تأويل ولا يراد من الثياب الصفراء إلا المرض. ولكن إذا كنتم تصرون على رؤية مسيحكم في ثياب صفراء ظاهريا فطوبى لكم في مسيحكم. أما نحن فلن نقبل إلا مسيحا تنطبق عليه أحكام النبي ﷺ، والذي لم يخرج من شريعة محمد ﷺ قيد شعرة، كما لم تخرج ولا لحظة من حياته عن اتباع النبي ﷺ.

كنت قد اخترت لخطبة اليوم هذين الاعتراضين للرد عليهما بالإيجاز بسبب مناسبة الاجتماع السنوي، وسوف أستأنف الحديث في الموضوع نفسه بعد الاجتماع بإذن الله. أما فيما يتعلق بخطابي النهائي في الاجتماع فسوف ألقي من خلاله الضوء على موضوع ختم النبوة، لأن عديدا من الاعتراضات قد أثيرت في البيان الأبيض المزعوم حول هذا الموضوع، وقاموا فيه بتلبيس مدهش، فلا يمكن الرد عليه في خطبة واحدة، لذا اخترت هذا الموضوع للخطاب في الاجتماع السنوي*. ولكنني قد لا أجد متسعا من الوقت لأتناول الموضوع من جميع نواحيه، وإنما سأسلط الضوء على ناحيتين فقط أثيرت حولهما اعتراضات كثيرة جدا. وأدعو الله أن يوفقني لبيان ذلك في الوقت المحدد.

(أُلقيت بتاريخ ٥ نيسان/أبريل ١٩٨٥م، في مسجد "الفضل" بلندن)

* المنعقد في ٥-٧ أبريل عام ١٩٨٥م بإسلام آباد تلفورد، ببريطانيا. (المترجم)